مقال فلسفي حول: ((تطور فلسفة هيوم))

د. مبروك طحطاح. الجزائر[1]

١- تمهيد:

يتضمن المقال ترجمة لأهم الأفكار التي أوردها المؤلف في عمله الذي تقدم به لنيل درجة الدكتوراه بقسم الفلسفة بجامعة «ميسوري»Missouri ، الموسوم بـ«هيوم: علاقة «الرسالة في الطبيعة البشرية» الجزء الأول بـ «مبحث يتعلق بالفهم البشري»[2]، وتكمن أهمية هذا العمل في قدرة المؤلف على استنطاق أعمال هيوم الرئيسية، كما يمثلالعمل في حد ذاتهمخططاً لفلسفة هيوم ككل في تطورها، إنّها أشبه ما تكون بمحاولة لاختبار التطور التاريخي لفلسفة هيوم بين عمل سن الشباب وعمل سن النضج عن طريق دراسة استقصائية لأهم أفكار الفيلسوف، وفي الوقت ذاته عقد مقارنة بين العملين. أما صاحب العمل فهو«وليام بيرد آلكين» William Baird Elkin.فيلسوف وعالم اجتماع، عمل أستاذاً مساعداً في نظرية وتطبيق التعليم بالجامعة، ومن أهم المقالات التي نشرها في المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع «مشكلة الحضارة في القرن العشرين» سنة ١٩٠٨. وقد اعتمدنا في قراءة هذا العمل على كتابه الرئيسي في نسخته الكاملة الذي تمت طباعته سنة ١٩٠٤، مكتبة جامعة كورنل cornell University. كما عثرنا على مقال نشره قبل مناقشته للموضوع في المجلة العالمية للفلسفة الموسومة بـ Philosophical Review، المجلد الثالث، العدد

---

١ – الدكتور مبروك طحطاح باحث وأستاذ جامعي جزائري.

2- W.B.Elkin, Hume, The Relation of the tretease of Human Nature – Book I. To The Inquiry concerning of Human Understanding. Cornel University Library.Ithaca, N.Y.1904.

الأول لسنة ١٨٩٤[1]، والتى كانت فضاء لكبار الفلاسفة وقتها، أمثال «جون ديوى» و«وليام جيمس»و «هربرت سبنسر» وغيرهم. مع الرجوع إلى عملى هيوم الرئيسيين على وجه الخصوص.

ولمّا كان الكتاب يقدّم لنا مخططاً واضحاً، لجميع القضايا الفلسفية التى عالجها هيوم، وهى تمثل فى حقيقة الأمر صلب فلسفته، إضافة إلى ذلك مناقشته المستفيضة للإشكالية التى طرحها، كان من الواجب أنّ أقدمه لقرّاء الفلسفة، وذلك لأجل تسهيل قراءة وفهم فلسفة هيوم فى خطوطها العامة، والتى تبدو للكثير عسيرة فى ظل عدم وضوح الرؤية لموقفه العام، وأيضا لعلاقة عمليه الرئيسيين بعضهما ببعض.

ينطلق المؤلف بتمهيد للفلسفة التجريبية الإنجليزية التى ينتمى إليها الفيلسوف، وللفيلسوف معاً، يقول أنّه يمكننا أن نشبّه تاريخ الفلسفة الإنجليزية أحياناً بمسرحية مؤلفة من خمسة فصول: افتتح «بيكون» فى فصلها الأول نظام التجريبية، أما الفصلان الثانى والثالث فيتمثلان الحركة الجدلية التى تجلت بالتدريج مع «هوبز» و«لوك»، أما الفصل الرابع منها فيمثل التطبيقات التى تنشأ من الانتقادات والتحولات التى أحدثها «باركلى»، وأخيرًا تكتمل فصولها بمشهد «هيوم».ص١، هذا الأخير عدّ رمزاً للثقافة الإنجليزية وللقومية ككل، فقد أعلن الفيلسوف الإنجليزى«وليام هاملتون» (Sir.William Hamilton)، فى تقديمه لمحاضراته، سنة ١٨٣٦،«أن الشخص الذى أعطى للفلسفة فى أوربا كلها، دفعة جديدة ووجهة، وله يشار بأى تقدم لاحق فى التأمل الفلسفى، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، هو ابن بلدنا، "ديفيد هيوم"...شكّيته تعد بمثابة ومضة كهربائية بعثت الحياة فى آراء مشلولة، استيقظت الفلسفة بفضلها بنشاط متجدد، وحتّى مشكلاتها عرضت بصورة أخرى، وأصبحت موضوعاً أكثر للبحث التحليلى». ص٢.

---

1 -The Philosophical Review, J.G. Schurman and J.E. Creighton.V. III.Ginn and Company Boston, New York, chicago.1894.

أكثر من هذا الإطراء، يقدم «جيمس هتشيسون» JamesHutshison صورة مكتملة لذلك، حيث يقول «هيوم هو سياستنا، هيوم هو تجارتنا، هيوم هو فلسفتنا، هيوم هو ديننا، وهذا قليل فى حقه، هيوم هو ذوقنا» ص:٢-٣.من أهم ما خلّفه هيوم من أعمال: كتاب «رسالة فى الطبيعة البشرية» A treatise of Human Nature، و«محاولة فى الفهم البشرى».An Enquiry Concerningof Human Un derstanding.

تقديم العملين:

قبل عرض الفرق بين العملين لأجل استقصاء البحث بغية الوصول إلى تطور فلسفة هيوم، كما قدمها المؤلف فى كتابه، وجب علينا تقديم سريع لوصف العملين.

يعد كتاب «رسالة فى الطبيعة البشرية» الكتاب الأول، وكتاب «مبحث فى الفهم البشرى»، أهم أعمال الفيلسوف الإنجليزى «ديفيد هيوم» ١٧١١-١٧٧٦ على الإطلاق؛ الكتاب الأول خطط له وهو فى حداثة سنه، أى وهو لم يتجاوز وقتها الواحد والعشرين، ووضعه وهو فى الخامسة والعشرين، يقول فى رسالة وجهها إلى «جيلبرت إليوت» سنة ١٧٥١ أنه خطط للرسالة قبل أن يتجاوز الواحد والعشرين من عمره، وألفها قبل أن يبلغ سن الخامسة والعشرين.phil.Rev .672.، وربما لم يكن التأليف فى حداثة السن هذه مقتصرة على هيوم وقتها، فقد ألف باركلى «نحو نظرية جديدة فى الإبصار»، وكتاب «مبادئ المعرفة البشرية» و«المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلانوس» بين سنى الرابع والعشرين و الثامنة العشرين..، أما المبحث فكتبه بعد ذلك بعشر سنوات.عمله «الطبيعة البشرية» وعمل كانط «نقد العقل الخالص» يسجلان نقدا قاسياً، يأخذان معا شكل جسر حقيقى بين عالمى الفلسفة القديم والجديد.

أما عمله الأول فهو «رسالة فى الطبيعة البشرية»،عمل ضخم يتألف من ثلاثة كتب: الكتاب الأول يخص الفهم (of the Understanding)، أما الكتاب الثانى فيتناول الانفعالات (of the Passions)، والكتاب الأخير يتعلق بالأخلاق of the Morals). الكتابان الأول والثانى نشرهما سنة ١٧٣٩، أما الثالث فكان سنة ١٧٤٠.

والعمل ككل يبدو أنه كتب ونشر وهو لم يتجاوز صاحبه الخامسة والعشرين من عمره، أى سنة ١٧٣٦

لكن لم يجد ما كان ينتظره، وأصيب بخيبة أمل كبيرة، فاعتقد هيوم أنّه تسرّع فى طبع الكتاب، وبعد عشر سنوات أعاد نشره ثانية، لكن هذه المرة بشكل يتفق ومستوى وذوق الجمهور، وكان أكثر إيجاز واختصار .phil.Rev .672. لقد ولد العمل ميتاً من المطبعة، بهذا يصرح هيوم فى سيرته التى صدّر بها كتاب الفهم البشرى فى ١٨ آفريل ١٧٧٦. فلم يحقق النجاح الذى كان ينتظره، مما دفعه إلى مراجعته، وإعادة كتابته، و هذه المرة كأن بأكثر إيجاز، وبأمل أكبر بالنجاح على مستوى القراءة، وتحت عنوان آخر، فى الأول «مقالات فلسفية تتعلق بالفهم البشرى» Philosophical Essays concerning Human Understanding سنة ١٧٤٧. الذى يعرف لاحقا بالمبحث فى الفهم البشرى، ثم مبحث يتعلق بمبادئ الأخلاق . an Inquiry concerning the principles of morals سنة ١٧٥١، ومقالة فى الانفعالات dissertation on the passions سنة ١٧٥٧.

محور مناقشة الموضوع تتم من خلال الكتاب الأول من الرسالة فقط، أى المتعلق بالفهم البشرى، ووفق الاستعمال الشائع، تكون الدراسة فقط بين الرسالة والمقالات الفلسفية التى تتعلق بالفهم.

القراءة الأولية للعملين لا تبدى لنا أى اختلافات بينهما، سوى أن العمل الثانى موجز ومختصر عن الأول، بينما الأفكار هى نفسها. مما طرح قضية وجهة نظر هيوم فى العملين. هل هى واحدة، أم أن لكل عمل وجهة نظر تخصه؟ وطرح أيضاً، وبشكل حاد، وجهة نظر هيوم التى تعبر عنها فلسفته فى عمومها، هل مقالات هيوم هى تطور أكثر لرؤى عبّر عنها فى الرسالة، أم هى مجرد استمرارية وتكرار؟

٢ – الهـــدف:

هناك انطباع عام قائم على أن موقف هيوم الذى كيفه فى المبحث ليس بينه وبين العمل السابق، أى الرسالة، أية مطابقة. وبالتالى، فالمبادئ الفلسفية للعمل الأخير، ليست نفسها تلك التى احتواها عمله الأول. يقال أن المبحث يمثل الموقف التجريبى أو الوضعى، بينما تمثل الرسالة موقفه الشاك، كما يذهب إلى ذلك كبار المؤلفين فى عصرنا يقول المؤلف. ص٤. وهذا ما عبر عنه أحد أعظم الفلاسفة فى ذلك الوقت، وهو الفيلسوف Schurman بقوله «الرسالة تمثل نهاية الفلسفة الحسية، والمبحث بداية فلسفة الحس المشترك»٤/ . والمبادئ الفلسفية فى عمله الأخير المبحث ليست نفسها مبادئ الرسالة.إذن، وجهة نظر هيوم فى الرسالة ليست نفسها التى يعبر عنها فى المبحث، إذ كانت وجهة نظره فى الكتاب الأول ذات طابع شكّى، أما فى الكتاب الثانى فكان أقرب منه إلى الوضعية؛ هذا يعنى، من حيث المبدأ، أن المبحث يعدّ أكثر إيجابية من الرسالة، وبالتالى، يمثل تغيراً فى جانب من نظرة هيوم فى نزعته الشكية المغالية خلال السنوات التى ارتبطت بالشباب. لكن بالمقابل، هناك من ينظر إلى أن وجهتى نظر هيوم واحدة فى الكتابين. لكن الاختلاف حاصل فيما إذا كانت هذه الوجهة الواحدة للعملين سلبية أم بناءة فقط...673.. phil.Rev

ومهما كانت وجهة نظر هيوم هذه، فإن هناك عدم اتفاق واضح بين الدّارسين لفلسفته. ص:٦٧٣. البروفسور «هكسلى» Huxley يدّعى أن الإيجابية هى عنوان فلسفة هيوم. فى عمله الخاص عن فلسفة هيوم يعطى موقفا، لايمكن الدفاع عنه، وهو أن فلسفة هيوم تشكل القاعدة الأساسية لمنهج علمى صحيح وموقف عقلى. وبالتالى، وبمعنى ما، لا يمكن أن يكون شاكاً أو سلبياً، بل إيجابى وبنائى، لدرجة أنه وضع عمل هيوم فى الرسالة وعمل «كانط» نقد العقل الخالص فى نفس المستوى، وأنهما يلتقيان فى نفس النتيجة، التى هى معرفة حقيقة العالم.. ص٥. بالمقابل يرى «غرين» Green عكس ذلك تماماً، مؤكداً أنّ الموقف فى أساسه سلبى.أمّا «ستوارت» Stewart يرى أن هدف هيوم هو تأسيس شكية عامة، وإحداث فى القارئ ارتياب كامل فى قدراته.ص٢٥.

لن نعثر على الموقف الحقيقى لهيوم من خلال هذه الآراء المختلفة والمتناقضة، بل مفتاح الحل لهذه المشكلة نجدها فقط فى حياة هيوم، فى مرحلة الطفولة المبكرة وشغفه بالكتب والرسائل، ثم مرحلة الشباب حيث يشغل ساعات فراغه بالكتابة فى الموضوعات الأدبية والأخلاقية والسيكولوجية، وفى سن الثامنة عشر دخل تجربة، ولأشهر قليلة، نشوة الحوار الفلسفى، بعدها شعر هيوم أن عليه أن يقوم بثورة فى الفلسفة أو فى علم الخلاق، تشبه فى تأثيرها ما قام به بيكون فى العلم الفيزيائى ص٢٦، فعزم على مخطط لكتابة نظام شامل للفلسفة، فكانت (الرسالة)، وشأنه فى ذلك شأن كل فيلسوف له مذهب جديد، اكتشف هيوم أنّ النظريات الفلسفية هى ناقصة جداً.

يعبر هيوم نفسه بصراحة عن فرق بين العملين، وهو اعتراف لا يمكن استبعاده. لقد أعلن فى الجزء الثانى، المتضمن لمبادئ الأخلاق، والمبحث فى الفهم البشرى، الذى يخصّ طبيعة عمل هيوم، اتهامه بأن: «...الكثير من الذين كان لهم شرف قراءة فلسفتى..لم يأخذوا حيطتهم فى أسلحتهم ضد عمل الشباب... »، ورغبة الكاتب فى هذا هى أن الأجزاء اللاحقة هى التى تتضمن مبادئ فلسفته. وفى مناسبة أخرى، وفى رسالة إلى «جيلبرت إليوت» **Gilbert Elliot** يقول فيها هيوم: «أؤمن أن المقالات الفلسفية(المبحث) تحتوى على كل شىء يخص النتائج التى ترتبط بالفهم التى يمكن أن تلتقى بها فى الرسالة..أنصحك بعدم قراءة الرسالة، ومن خلال إيجاز وتبسيط القضايا، فأنا حقيقة أقدمها على وجه أكمل...المبادئ الفلسفية هى نفسها فى العملين، لكنى كنت منجرفاً بعاطفة حمّى الشباب، والتعجل بنشرها» ٦٧٣. **Phil Rev**/ ص٦. هل هذا الاعتراف من هيوم يعنى أنه تخلى عن فلسفته التى وردت فى الرسالة؟، وإذا كان كذلك ما الدافع فى ذلك؟

وعليه، نظن أننا لا نصل إلى حقيقة هذا ما لم نقم باختيار جدى للعملين، ولأجل هذا الاختيار، اقترح المؤلف أن تحدد النتائج الأكثر أهمية تحت مطلبين أساسيين، أولاً، من حيث الشكل. وثانياً، حيث المادة أو المضمون.

٣- العلاقة العامة بين الرسالة والمبحث:

يمكننا فى بادئ الأمر أن نشير إلى مقارنة بسيطة بين مقدمة الرسالة، والفصل الأول من المبحث، لنجد أن المقدمة التى تخص الرسالة هى مقدمة عامة لعلم الطبيعة البشرية ككل، بينما الفصل الأول الذى خصصه للمبحث فيتعلق فقط بمقدمة تخص قسم واحد من علم الطبيعة البشرية، ألا وهو القسم النظرى .ص٢٤.

أولاً. من حيث الشكل:

يمكننا التطّرق إلى نقطتين هامتين فى العمل من حيث الشكل، أولاً من ناحية الأسلوب، وثانياً من ناحية الترتيب.

١- الأسلوب: فى رسالة لهتشسون **Hutcheson** مؤرخة سنة ١٧٤٠، كتب هيوم: «أتمنى لو أكتشف أكثر النقاط التى أخفقت فيها»، كما أن فى سيرة حياته يعزو فشله فى الرسالة إلى الشكل أكثر منه إلى المضمون أو المادة. كان أسلوب الرسالة غير ناضج ودوغماتياً، كثير من الشكوك احتوتها الرسالة، كثير من التكرار والالتباس، وتمزج أشياء مهمة بأخرى غير مهمة. أما فى المبحث، فالأسلوب تغير إلى أسلوب يتصف بالسلاسة والإسهاب، و تحول إلى الإيجاز وعمق فى التفكير .**phil. Rev**.٦٧٤.

يرى الدكتور جونسون **Dr. Johnso n** أن أسلوب هيوم ما كان إنجليزياً بل فرنسى. «غروس» **Grose** هو الأخر يقبل هذا من خلال أن بنية العبارات التى يستعملها هيوم كان متأثراً فيها بالآداب فى فرنسا فى الوقت الذى كتب فيه الرسالة. بالإضافة إلى عديد الاصطلاحات الاسكتلندية، أما فى المبحث فاللهجة الاسكتلندية، وكذا الأسلوب الفرنسى اختفيا من عمله ومن كتاباته المتأخرة، وحل محلّها أسلوب سلس ومهذب.ص١١-١٢. إضافة إلى أن الرسالة عسيرة القراءة، بينما المبحث يتسم بالسهولة مقارنة بها. هذا التغيير يمكن ملاحظته بسهولة فى مقدمة الرسالة، وكما يمكن ملاحظة هذا التغيير فى

الأسلوب فى المبحث، إذ كانت رغبة المؤلف أن يتوافق أسلوبه وذوق الجمهورص١٣. فى مقدمة المبحث يعلم هيوم أن التجريد فى التأملات الفلسفية ليست ميزة محمودة ، بل بالأحرى تمثل عائقاً أمامها».

٢- الترتيب: أما من حيث الترتيب، فقد اختلف دارسو هيوم حول عمل الرسالة، «برتون» burton لايخفى حكمه، كملاحظة واضحة ودقيقة على العمل، من أنه من بين أقل الأعمال الفلسفية تصنيفاً وترتيبا، فهى لاتحوى مخططاً محدداً ولاترتيباً منطقيا ص١٤، بالمقابل يرى «آدامسون» Adamson أن سير عمل هيوم ينبع مباشرة من مبادئه الفلسفية، وبهذا ينظر المؤلف إلى الرسالة على أنها من الناحية العامة مصنفة بانتظام بينما تقسيماتها التفصيلية فلا تخضع لذلك. فالجزء الأول يعطى اعتباراً لمحتويات الذهن الفردى من انطباعات وأفكار، أو ما يسميه هيوم بعناصر فلسفة الطبيعة البشرية، أما القسم الثانى فيعالج أفكار الزمان والمكان، وفى القسم الثالث يعالج فكرة السبب والنتيجة، هذا يعنى أن الجزء الثانى يخص الجانب النظرى التجريدى للمعرفة البشرية، بينما القسم الثالث يتعلق بالجانب التطبيقى. وأخيرا الجزء الرابع يشرح فكرة الأنا والجوهر مبرزاً النتائج المنطقية المترتبة عن المعالجة السابقة، ومعبراً عن العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف. ص ١٥.

وهناك أيضا انتقال تدريجى بين التقسيمات الأساسية فى العمل، ففى الفصل الأخير من الجزء الأول يعالج الأفكار العامة، وبذلك يهيئ الطريق لمناقشة أفكار الزمان والمكان فى الجزء الثانى. الفصل الأخير من الجزء الثانى معالجة لأفكار الوجود والوجود الخارجى يحفظ كمقدمة للجزء الثالث.. وطالما اعتبرنا العمل الثانى إعادة صياغة فى جانب ما من العمل الأول، فإن التنظيم العام للمناقشة هو نفسه فى العملين. لكن هناك أقسام من الرسالة تم حذفها ومواد جديدة أضيفت. وخلاصة المعالجة فى عمله المبحث أوضح منها فى الرسالة، كما أنها خالية من الغموض والارتباك.

ثانياً: من حيث المضمون:

المبحث ليس إعادة صياغة للرسالة ولا تلخيصاً لها بل هو جزء منها، هكذا يبدو فى الجزء الأول منها والثالث، أما الجزء الثانى فأعيدت كتابته لكنه لم ينشر على الإطلاق، ربما – حسب «غروس»- يئس من أن يجعله أكثر شهرة من الجزء الثانى الذى كتبه فى الرسالة ١٦٧٥. فى مكان الجزء الثانى من الرسالة هناك إشارة موجزة عن الرياضيات فى بداية الفصل الرابع iv، وبعضاً من الملاحظات فيما يتعلق بالزمان والمكان، والتناقضات فى الاستدلالات الرياضية فى القسم الثانى من الفصل الثانى عشر xii. وفى مكان القسم السادس iv من الرسالة يوجد الفصل الثانى عشر xii فى المبحث. وعلى الرغم من أن هذا الفصل الأخير يعالج إلى حد ما نفس الموضوعات كما فعل فى الجزء السادس iv، لكن بدون احترام لاستنساخ كاف أو حتى تلخيصاً أو حوصلة للجزء المقابل فى الرسالة. هذه العناصر المحذوفة معوضة لكنها معوضة بدرجة أقل بواسطة مقدمة وبعض المواد الجديدة، الفصل العاشر x والحادى عشر ix. وعن طريق تحويل مناقشة الحرية والضرورة من الكتاب الثانى من الرسالة فى الطبيعة البشرية إلى مكان أكثر ملائمة فى المبحث، مباشرة بعد مناقشته لموضوع السببية أين يشكل هذا فصلاً كاملاً بحد ذاته وهو الفصل الثامن viii. Rev.phil.67°.

أ- إمكانية الميتافيزيقا والعلم: فيما يخص إمكانية الميتافيزيقا أن تكون علماً للمبادئ الأولى ، فى كلا العملين هناك اتفاق على أنّ من المستحيل أن يكون ذلك. لكن فى هذا السؤال كان موقف هيوم أكثر دوغماتية فى الرسالة منه فى المبحث. هناك بعض العبارات فى عمله الأخير، أى المبحث، التى تتضمن فيما يبدو أنّ فيه إمكانية للميتافيزيقا. إلا أن ذلك، حسب المؤلف، لا يعنى أنّ هيوم يقصد قبول الميتافيزيقا. عندما يتجرأ على التعبير عن أمل الفلسفة فى أنها تكشف، على الأقل وبدرجة ما، عن المنابع الخفية والمبادئ التى بواسطتها يمارس العقل عملياته، ربما كان يقصد مثل تلك المبادئ العادة وتداعى الأفكار مثلاً، والتى يتحدث عنها أحياناً كمبادئ قصوى للطبيعة البشرية. أمّا فيما يتعلق بإمكانية العلم، يؤكد هيوم على نحو متكرر

فى كلا العملين على ذلك، لكن فى عمله الأخير لم يهزه ذلك بشدة يقينية العلم مثلما نجده فى الرسالة. هذا التغير ناتج عن الحذف أكثر منه عن التعديلات ..phil.Rev.67°. الاختلاف فى المعالجة فى العمل الأخير لهذين السؤالين يبدو أنه يؤدى جزئيا على الأقل إلى موضوع المعالجة فى المقدمة الخاصة. فمقدمة الرسالة هى أساساً مقدمة لعلم الطبيعة البشرية، بينما مقدمة المبحث هى مقدمة للجزء النظرى فقط من علم الطبيعة البشرية. بالإضافة إلى اعتبار رغبة هيوم فى الشهرة كفيلسوف، وتغير مزاجه مع اكتسابه التجربة أكثر قاداه، فى كثير من الأحيان، إلى التأسّف على الجو الإيجابى الذى تخلل الرسالة .phil.Rev ٦٧٦.

ب- الإدراكات طبيعتها وعلتها:

فى الفصل الثالث من الكتاب، يقدم المؤلف خلاصة لأكثر النتائج أهمية بالنسبة لمناقشة فكرة الإدراكات perceptions، من حيث طبيعتها وتصنيفها وعلّتها:

فيما يتعلق بكون الإدراكات، أو الانطباعات والأفكار، هى الموضوعات الوحيدة للمعرفة البشرية، وعلى الرغم من اتحادها إلا أنها ليست متصلة بل هى موجودات متمايزة و منفصلة عن بعضها، نجد اتّفاقاً بين العملين بصورة كلية.

أمّا فيما يخص تصنيف هيوم للإدراكات، إلى الانطباعات والأفكار؛ الانطباعات الحسية هى العناصر الأصلية والحقائق القصوى للتجربة الإنسانية .ص ٦٩. ومن هذه الانطباعات اشتقت أفكار الإحساس، انطباعات وأفكار الإحساس هى علة انطباعات التأمل، ومن هذه الأخيرة تشتق أفكار التأمل. فى كل هذه النقاط الموقف واحد بين العملين سواء فى الرسالة أو فى المبحث، باستثناء أنه فى المبحث لم يعبّر بجلاء عن أنّ فكرة كل انطباعات التأمل معتمدة فى النهاية على انطباعات الإحساس بالتمام، بل هى متضمنة وبشكل واضح.

فى الرسالة نصّ على أنه: «طالما أنّ أفكارنا هى صور للانطباعات، إذن يمكن أن نكوّن أفكاراً ثانوية، والتى هى بدورها صور للأفكار الأولية»، هذا التحدى لقاعدته

التى تخص أولوية الانطباعات على الأفكار، يقول هيوم بصدده، أنه لا يتحدث عن استثناء للقاعدة التى فصل فيها جيدا. وقد حذفت هذه الإشارة فى عمله الموجز.

التصنيف الذى أعطاه للأفكار من حيث أنها بسيطة ومركبة حذف فى المبحث، لكن التمييز بينهما يظل مشاراً إليه فى مواطن كثيرة من المبحث.

أمّا تصنيفه للأفكار، بعضها يخص الذاكرة والآخر يتعلق بالخيال، تم حذفه أيضاً فى عمله الأخير. والخاصيتان المميزتان لأفكار الذاكرة من حيوية وقوة مذكورة فيه صراحة، والباقى كانت متضمنة.

أما فيما يتعلق بعلّة الإدراكات، يعطى هيوم بوضوح بالنسبة لمبادئ فلسفة الطبيعة البشرية تقديراً لعلّة الإدراكات، هى علّة معرفية ابيستيمولوجية، وهى مناقشة ومعالجة ضمن صنف من تصنيفاته، ويتمثل فى كون الانطباعات الحسّية هى العناصر الأصلية أو الوقائع، التى تشتق منها أفكار الإحساس. 67٧phil.Rev. فى حين انطباعات التأمل هى علّة أفكارالتأمل، وهى فى حد ذاتها نتيجة، أو أحيانا تبدو مصاحبة لانطباعات أو أفكار الإحساس.

ويقدم لها أيضا تفسيراً فسيولوجيا، فهى عبارة عن حركة فى الدماغ أو الأعصاب، أو الأرواح الحيوانية، أى هى علّة فيزيائية فى الإدراك، ناتجة عن حركة الأجزاء الحيوانية فى الدماغ والجهاز العصبى، موقف المبحث يبدو متماهياً مع ذلك الموقف المثبت فى الرسالة. أما فيما يتعلق بعلّة الإدراكات النهائية، أو العلّة البعيدة والقصوى للإدراكات، بالنظر للعلة المباشرة للإدراك، فلا نجد أن هيوم يملك تفسيراً نهائياً فى كلا العملين، أى لا يعطى أى إجابة لذلك. ويؤكد أنها علة مجهولة وغير قابلة للمعرفة أصلاً. ص:٧٠.

فى كل هذه النقاط، فيما يتعلق بالانطباعات والأفكار، يبدو موقف هيوم فى المبحث نفسه الموقف الذى قدمه فى الرسالة. بالنسبة لعلّة الإدراكات القصوى، بعض المترجمين لفلسفة هيوم اعتبروا أن هيوم فى معالجته للموضوع وقع فى تناقض

حقيقي، مثلاً يقول البروفسور «هكسلى»، فيما يتعلق بأصل انطباعات الإحساس، فى الأول يقول هيوم أنه من المستحيل أن نقرر ما إذا كانت تنشأ مباشرة من الموضوع، أو محدثة بواسطة قوة خلاقة للذهن، أو مشتقة من خالق هذا الوجود. phil.Rev٧67.. هذا التناقض قد أُزيل بافتراض فى مثال واحد تحدث فيه عن السبب المباشر، ومثال آخر عن السبب النهائى. وجعل ذلك واضحاً فى الرسالة، بينما قدّمه بصورة ضمنية فى المبحث، وبأقل احتمالية.

ت- تداعى الأفكار والنتيجة: الأفكار المركبة

فى معالجته لقوانين تداعى الأفكار، نجد أن الموقف فى العملين متماثل بالأساس. فى الرسالة يكتشف هيوم استقرائياً أنّ هناك ثلاث مبادئ عامة للتداعى: التشابه والتجاور والسببية، ويسمى هيوم قوانين التداعى بـ «العلاقات الطبيعية»، كتمييز لها مقابل «العلاقات الفلسفية»، كما يسميها بـ «كيفيات الأفكار»، هذه الكيفيات للأفكار أو المبادئ الموحدة، ينظر إليها كقوة أو كنوع من الجاذبية فى العالم العقلى.

لكن كثيراً من النقاد ذكروا أنّ هيوم أقرّ بمبدأين رئيسيين فقط: التشابه والتجاور، طالما أن المبدأ الأخير، أى السبب والنتيجة، يرتدّ هو الأخر إلى نوع من أنواع التجاور فقط. ص:٧٣

حاصل قوانين التداعى هو الأفكار المركبة: العلاقات والأحوال والجواهر. هذا التصنيف تمّ حذفه من المبحث، واستبدل بتصنيف بسيط لموضوعات الاستدلال التى تنحل إلى علاقات الأفكار ووقائع التجربة، لكن الرؤية ذاتها لم تتغير فيما يخص الأفكار العامة من الكتاب. phil.Rev٦٧٥ .

فى القسم الأول من الرسالة يؤكد فيه على أنه لا نستطيع أن نزعم بإيجاد تفسير لتداعى الأفكار، فى حين يدّعى فى القسم الثانى منها انّه يمكن أن نجد لها تفسيراً سيكولوجياً. فى السؤال عن قوانين تداعى الأفكار، الموقف واحد فى كلا العملين.

والنتيجة هى ذاتها. لكن المعالجة مختلفة بشكل ما. محاولة التفسير الجزئى المعطى فى الرسالة لهذه المبادئ لا تظهر فى المبحث. فيما يتعلق بنتائج قوانين تداعى الأفكار، أى الأفكار المركبة- العلاقات الفلسفية، الجواهر، والأحوال التى تتضمن الأفكار المجردة - حذفت مناقشتها كلّها من العمل الأخير. العلاقات الفلسفية تبدو على أنها مفترضة...وهذا ما يشير إليه فى مناقشة الجوهر لاحقاً..وفيما يتعلق بالأحوال هناك سؤال وحيد من الأهمية بمكان، ذلك المتعلق بالأفكار المجردة، أو بالأحرى الأفكار العامة..من بعض الإشارات العرضية لهذا الموضوع فى الفصل السابع xii من المبحث، نجد أنه، فيما يخص موقف هيوم من الأفكار العامة، هو نفسه بالضبط فى العملين. والسبب الأرجح لهذا الحذف فى العمل الأخير هو رغبته فى إعطاء عرض موجز وواضح وأكثر شهرة لنظامه الفلسفى، كأن يحقق النجاح فى الانتشار بين الجمهور ويعطى شهرة له ككاتب فلسفى. 678.phil.Rev ، وربما يمكن إضافة سبب آخر لهذا الحذف، وهو أنه قبل أن ينشر كتابه المبحث كان على وعى بالصعوبات التى ترتبط بهذا الموضوع، ومن ثم كان اقتراحه بمثل هذا الحذف لكى يتجنب ذلك. ويقدم لهذه المبادئ تفسيراً نفسياً لها، أما فى المبحث فيكتشف، وبنفس الأسلوب، نفس القوانين العامة. وبدلاً من محاولة شرح سببها، فإنه يعطى معالجة عامة لنتائجها كماوردت فى الرسالة. هذا التغير فى طريقة المعالجة كان بالأساس لرغبة المؤلف فى جعل مذهبه أكثر شهرة. الحذف الذى تمّ فى المبحث، فيما يتعلق بالتفسير السيكولوجى، كان فى إطار المحافظة على أسلوبه فى معالجة الإدراكات. فى عمله الموجز لم يقدم أى تفسير سيكولوجى لعلّة الإدراكات ، لكنه يتضمن نفس الرؤية التى وردت فى الرسالة. الخلاصة ذاتها يمكن أن تستنتج فيما يتعلق بعلّة التداعى. ص:٨٧

ث- الزمان والمكان والرياضيات:

كما قلنا سابقاً، أن الجزء الثاني من الرسالة حذف في المبحث. ونتيجة لذلك، حذفت مناقشة الزمان والمكان. لكن في الفصل الثاني عشر وأيضا النقاط المذيلة، نجد بعض العبارات التي تتضمن بوضوح رؤيته للزمان والمكان في عمله الأخير،هي مشابهة لتلك التي ظهرت في عمله السابق. وهي نفس العملية التي نفسر من خلالها اشتقاق هذه الأفكار. لا وجود للأفكار العامة أو المجردة.لعدم وجود الانطباع الذي تشتق منه.معالجته للرياضيات تتبع اعتبارات الزمان والمكان. وهي مكتملة في الرسالة أكثر منه في المبحث.لكن في هذا الموضوع، لم يكن هيوم متّسقاً مع ذاته، سواء أخذنا العملين معا، أو أخذ كل عمل على حدا. 678..phil.Rev

في الأجزاء الأولى من الرسالة، يتحدث عن الجبر والحساب كعلوم دقيقة ويقينية. لكن عندما يصل إلى الفصل الرابع iv، وبسبب أننا معرضون للخطأ و كذا عدم عصمة قدراتنا، فإنّ كل المعرفة تنحل في ذاتها إلى الاحتمال، وتصبح في الأخير، من نفس طبيعة الوضوح الذي نستعمله في الحياة العامة. ومن السخافة، يرى هيوم، أن نتكلم عن أي نموذج للكمال، بعيداً عن هذه القدرات، التي بواسطتها نستطيع أن نحكم.. لكن الهندسة، وطوال صفحات الرسالة، ينظر إليها على أنّها علم غير دقيق. بسبب أن مبادئها الأولى ليست مشتقة سوى من الحواس والتخيل 679.phil.Rev. وفي المبحث، ينظر إلى الحساب والجبر والهندسة، على وجه العموم، على أنها علوم دقيقة ويقينية، على الرغم، من أنّها توجد أيضاً بعض العبارات هنا- خاصة فيما يتعلق بالهندسة- تناقض هذه الرؤية.لا وجود لسبب حقيقي يمكن أن يكون معنياً لتغيير وجهة نظر هيوم في معالجة هذا الموضوع اللهم إلاّ إذا كان هذا من باب صعوبة إعطاء اعتبار واف للرياضيات بناء على رؤيته للزمان والمكان، ورغبته في إرضاء الجمهور. لوقت ما لم يكن لديه احترام أكبر للميتافيزيقيين أو اللاهوتيين، ولكن لايزال لديه القليل منه للرياضيين. وبالرغم من أنّه كان في حرب معهم في الرسالة، فإنه يبدي رغبة في إعطائهم الفضل في المبحث.

هناك غموض أكبر بين المترجمين لموقف هيوم بسبب موقفه الصحيح من سؤال الرياضيات. ولذلك يؤكد البعض أن رؤية هيوم للهندسة هى نفسها رؤية كانط. لكن هؤلاء اقتبسوامن الفصل الرابع من المبحث، وتجاهلوا الفصل الثانى عشر، وأيضاً من الرسالة. حتى كانط نفسه أيضاً- الذى كان غير ملم بوضوح بما ورد فى الرسالة.اعتقد أنّ شعور هيوم الجيد هوحفاظه على عدم رفض شرعية الرياضيات. هناك رأى شائع بين المفكرين حول هيوم، وأيضا بين الكتّاب المهتمين بالكتابات التاريخية العادية للفلسفة الحديثة،وهو أنّ هيوم،حتّى لو رفض صدق الهندسة، فإنه ظل متمسكاً بالحساب والجبر. لكن، وعلى الرغم من أن هذه الرؤية ربما قد تكون صحيحة، فإنّ هيوم لم يحترمها فى كل الأحوال 679.phil.Rev. بدون شك أن المبحث يؤيد مثل هذه الرؤية، بينما فى المبحث الذى يتعلق بالأخلاق يذهب أبعد من ذلك. ليوسع هذا الصدق إلى الهندسة. وفى بعض الأجزاء من الرسالة، لم يؤكد هيوم حتّى أن علوم الحساب والجبر يملكان الصدق واليقين التامين ٦٨٠.phil.Rev.

إلى هنا لا يهاجم هيوم فقط شهادة الحواس، ولكن أيضاً الثقة فى العقل، ويعيد كل المعرفة إلى الاحتمال وفق مبادئه الخاصة، التى وضعت سواء فى المبحث أو الرسالة، أنه لا وجود لأساس شرعى صحيح للتأكيد على صدق ويقينية أى علم مهما كان.

ج- نظرية المعرفة:

يتحدث هيوم عن القدرات الأكثر أهمية فى المعرفة، والتى يمكن أن نعددها كالآتى: الإحساس والذاكرة والخيال والعقل والتأمل والغريزة. لم يقم هيوم بتصنيفها بشكل نظامى أو حتى يعرفها على نحو صحيح، بل قد استعمل بعضها بطرق مختلفة، وبدلالات مختلفة ليعبر عن نفس الشىء.تبدأ المعرفة كلها من الإحساس، هذا ما ورد فى العملين معاً، الذاكرة والخيال والعقل فتمثل مراحل مختلفة لنفس العملية. ص:١٣٤. التأمل هو مزيج خاص من التفكير والشعور، فى حين الغريزة غير قابلة للتعريف، فهى غالباً ما تتطابق مع الخيال، ومع العادة، ومع الطبيعة. وتتضمن جميع تلك العمليات التى لا يمكن تفسيرها بطريقة ما .

التغير الوحيد ذو أهمية فى المبحث يظهر فى معالجته للغريزة، وهو ما يعطى هيوم مكانة هامة من بين علماء النفس فى العصر الحديث.

المعرفة الحدسية: يذكر هيوم فى الرسالة أن الحدسية أو الإحساس أو المعرفة التى تخص الذاكرة تعتمد على العلاقات الفلسفية من التشابه والتضاد ودرجات الكيفية، وتنشأ مباشرة من الملاحظة، أو مقارنة الانطباعات والأفكار. ليس من الضرورى أن تكون هذه المعرفة دقيقة ويقينية، لكنها محدودة بطبيعة الموضوع الملاحَظ وبقدرة العقل الملاحظ. فى عمله المبحث حذفت التصنيفات التى تخص العلاقات الفلسفية، وكان طبيعياً أن تحذف المعرفة الحدسية. ص:١٣٦.

المعرفة الاستدلالية: أو المعرفة الناشئة بواسطة العقل، وتخص علم الرياضيات، وهى تعتمد على العلاقة الفلسفية التناسب، التناسب فى الكم والمقدار.فى الرسالة أعطى هيوم ثلاث اعتبارات مختلفة، فيما يتعلق بهذه المعرفة، على الرغم من كونها ليست منفصلة عن بعضها: الاعتبار الابيستيمولوجى ورد فى الجزء الثانى والجزء الثالث، والاعتبار المنطقى و السيكولوجى كما ورد فى الجزء الرابع iv.

فيما يخص الاعتبار الابيستيمولوجى، اعتبر الرياضيات علماً تجريبياً، لأن فكرتى العدد والمقدار مشتقة من الإحساسات. الجبر والحساب هما علمان دقيقان ويتصفان باليقين. لأنهما يملكان معياراً دقيقاً، لكن علم الهندسة ليس علماً دقيقاً أو يقينياً، لأن مبادئها الأولى تعتمد على مظاهر عامة لموضوعات خاصة بالإحساس والخيال. أمّا من حيث الاعتبار المنطقى، ونظراً لدور العادة والخيال، فكل المعرفة تنحل إلى الاحتمال بما فيها المعرفة الرياضية. بالنسبة للاعتبار السيكولوجى، فالأحكام فى العلوم الرياضية، شأنها فى ذلك شان أى علم آخر، تحوز على مقدار من الضمان. الغريزة أو الخيال، أو العادة، أو الطبيعة تحدد ذلك بواسطة ضرورة مطلقة وغير قابلة على الضبط، لتحكم وتعتقد كما تتنفس وتشعر. ص:١٣٧.

فى المبحث الجانب السيكولوجى والمنطقى تمّ حذفه، وكان هناك رأى شائع يتعلق بموقف هيوم فى عمله الأخير، على أنه ينظر إلى الرياضيات كعلم يقينى لكونه يعتمد على مبادئ أولية، ومن ثم فالجبر والحساب والهندسة عند هيوم تقف على قدم المساواة مع موقف الفلاسفة العقليين. هذا الموقف غير صحيح طالما أن العلوم الرياضية ترتبط بوقائع التجربة، ومن ثمّ يمكن استنتاج مايلى:

- بالنسبة لهيوم، الرياضيات ليست علما قبلياً.
- وهى ليست علماً يقينياً مطلقاً.
- الهندسة ليست علماً دقيقاً بالكامل.
- هذا هو الموقف المشترك لهيوم فى العملين ومع ذلك، فليس هناك تماثل تام فى جميع القضايا العامة، حتى وإن كان هناك اتفاق فى المبدأ، إلا أنه إن كان قد عّبر عن هذا بصورة كاملة وجريئة فى الرسالة، فإنه أوجز وحتى تردد فى المبحث.. ص:١٣٨.

ح- السببية والاعتقاد:

فى الغالب مبدأ السببية، إن لم يكن بالتمام، هو نفسه فى العملين، لكن هناك بعض الاختلافات فى أسلوب المعالجة. وعلى الرغم من هذا التشابه فى المناقشة بين العملين، فإنّه تشابه فى الشكل، أما من حيث تفاصيل المناقشة ففيه اختلاف. تمت المناقشة بصورة منظمة وشاملة جداً فى عمله الرسالة. بينما فى المبحث، وعلى النقيض من ذلك، هى موجزة وبسيطة نسبياً. ص:١٤٢. وطبقاً لمنهجه فى المناقشة، يفتتح هيوم مناقشته للموضوع فى كلا العملين بالبحث عن أصل الفكرة؟.

هناك عنصران هامّان فى معالجة هيوم لفكرة السبب والنتيجة، أحدهما منطقى ابيستيمولوجى والآخر سيكولوجى؛ يعالج الأول أساس الانتقال من السبب إلى النتيجة أو الاستدلال السببى، والثانى يناقش مسألة الارتباط الضرورى.

أمّا الاستدلال السببى فهو ليس خلاصة للفهم، ولكنه عمل الخيال ص:١٦٨. إنه ليس استدلالاً منطقياً ولكنه عملية سيكولوجية، ليس نتاج العقل بل نتاج العادة، ينشأ من خلال ملاحظة عدد من الأمثلة المتشابهة والمترابطة باطّراد، وتختلف عن كونها مجرد فكرة من الخيال، فى كونها تملك صفة القوة والحيوية والنشاط، وهذا هو الاعتقاد. إنّه يعرض وبصورة موجزة، ويقدم الحجة على أن المعرفة التى تخص علاقة السبب والنتيجة لا نحصل عليها عن طريق الإدراك الحدسى، ولا عن طريق الاستدلال القبلى، ولكن ينشا كلّية من التجربة.١٤٣

على الرغم من أنّ الخلاصة ليست استدلالاً شرعياً من الناحية المنطقية، إلا أنّه من الناحية السيكولوجية ضرورى. خلاصة الاستدلال تقف على نفس الأساس فى العملين معاً١٦٩. وعلى الرغم من أنّ الاستدلال أو الانتقال لايمكن أن يكون مبرّراً من الناحية النظرية، إلا أنه من الناحية العملية ثابت، لا يمكن الشك فيه، وكاف لكل مطالب الحياة.

أمّا فكرة الارتباط الضرورى بين الأسباب والنتائج، فتنشأ فى الذهن فى نفس الوقت الذى ينشأ فيه الاستدلال السببى وبنفس الطريقة، من التجربة من خلال الخيال والعادة. تكوّن هذه الفكرة يتم عبر ثلاث مراحل، المرحلة الأولى والثانية تكون فيها الموضوعية، أمّا الثالثة فهى ذاتية:

- يلاحظ العقل عدداً من الأمثلة المتشابهة والمترابطة باطّراد.
- نتيجة لهذه الملاحظة يتكون إحساس جديد، أو حكم، أو انطباع داخلى، ينشأ انطباع التأمل حيث تكون فكرة الارتباط الضرورى نسخة منه.
- فكرة الارتباط الضرورى ، والتى ارتبطت فى الأول بالذات، بالتدريج تبدأ بالانطباق على الموضوعات الخارجية، أى تكسب صفة الموضوعية، وذلك من خلال الخيال، فينشأ الارتباط الضرورى بين الأشياء والموضوعات.

وبهذا يفسر مصدر الفكرة طبيعتها وشرعيتها، هى فى الأخير مجرد نسخة من الشعور الذاتى، أو هى وهم.

فى كل هذه النقاط، موقف المبحث هو نفسه موقف الرسالة.لكن هناك استثناءات بسيطة يمكن ملاحظتها وتدوينها:

١- المعالجة فى المبحث هى أوجز باستثناء مناقشة ادّعاء بأن فكرة القوة أو الارتباط الضرورى ليست مشتقة من قوة الذهن. هذه الحجة تبدو فى الأول أنها ذكرت بإيجاز فى الملحق. ١٧٤٠. وبعد ذلك، عبّر عنها بصورة كاملة فى المبحث.

٢- هناك فروق طفيفة، فيما يبدو، فى مناقشة السببية، باعتبارها علاقة فلسفية. لكن من الصعب أن نعلن ذلك بدقة. phil.Rev. ٦٨٠. يبدو أن هيوم يناقش موضوع السببية بصورة بارزة فى الرسالة، وبصورة متضمنة فى المبحث، تحت ثلاث عناصر رئيسية:السؤال العام للسببية، السؤال الخاص للسببية، وفكرة الارتباط الضرورى.

تختلف طريقة طرح السؤال العام للسببية بين العملين من حيث الشكل، أما فى الأساس فمعناهما واحد؛ فى الرسالة كانت صيغته: وفق أى سبب نسميها ضرورة، ذلك أن كل شىء فى وجوده له بداية، ينبغى أن يكون له سبب؟، أما فى المبحث فكان السؤال ما أساس كل استدلالاتنا واستنتاجاتنا المتعلقة بـ (علاقة السبب والنتيجة)؟ يصل إلى خلاصة فى الرسالة أساسها أنّ الرأى الخاص بضرورة وجود سبب لكل نتيجة أو ظاهرة لا يعود إلى الحدس أو البرهان، ولا يعود إلى الحواس أو الذاكرة، ولا يعود إلى التفكير أو الاستدلال، بل ينشأ كلية من الملاحظة والتجربة. أمّا فى المبحث فينتهى به الأمر إلى الإقرار بأن المعرفة التى تخص علاقة السبب والنتيجة هى ليست محصلة الاستدلالات القبلية ولا هى ناتجة عن الإدراك الحسى، ولكنها تنشأ كلية من الملاحظة والتجربة. ص:١٤٥. والحجة الأساسية هنا مشابهة لتلك التى قدّمها فى المبحث.

أما السؤال الخاص بالسببية فينحل إلى ثلاثة عناصر، أولاً، لماذا نستنتج من أنّه كما هناك أسباب خاصة، يجب أن يكون لها نتائج خاصة بالضرورة؟ ثانياً، ما طبيعة الاستدلال الذى نستنتجه من مثال لآخر؟ ثالثاً، ما طبيعة الاعتقاد الذى نضعه فى الفكرة المستنتجة؟. معالجة السؤال الأول والثانى لا تتم منفصلة عن بعضهما البعض، أمّا مسألة الاعتقاد فيخصص لها المؤلف فصلا آخر.

أمّا فكرة الارتباط الضرورى فهى مربط الفرس فى مناقشة هيوم، فى الفصل الرابع عشر من القسم الثالث من كتاب الرسالة، وفى الفصل السابع من المبحث. فى مناقشته للفكرة نجد أن الرسالة تزخر بالتكرار والغموض ، وأيضاً التناقضات التى تعود إلى استعمال الألفاظ.

الضرورة لا وجود لها سوى فى العقل، وليست فى الموضوعات. ويمكن أن ننظر لها من خلال موضوعين منفصلين:

- من خلال شرعية فكرة الارتباط الضرورى، وهو فى ذلك يستخدم كعادته معيار صحة وشرعية أية فكرة، فما الانطباع الذى استمدّت منه الفكرة؟ لم تشتق عن طريق الحواس، ولا من ملاحظة الموضوعات، لأن العلاقات الوحيدة القابلة للإدراك بين الأشياء هى التجاور والتتابع، كما لم تنشأ عن طريق التفكير أو الاستدلال، لأنّ العقل ليس بمقدوره إنتاج فكرة جديدة، ولم تشتق من كائن أو روح أعلى، كما اعتبر ذلك ديكارت، لأن الأفكار الفطرية قد تم رفضها. هذه نفس البرهنة التى قدّمها فى العملين لكنها تختلف من حيث الشكل.
- من خلال كيف ينشأ وهم الارتباط الضرورى، بالنسبة لأصل الفكرة هناك تطابق بين العملين. ويمكن تلخيصه كالآتى: ملاحظة حادثة واحدة تكون متبوعة مباشرة بأخرى، عندما يتكرر المثال للحادثتين فى التتابع المباشر لعدد من المرّات، وعن طريق التعود أو الغريزة يحدث فينا عاطفة جديدة أو شعوراً،

انطباعاً تأملياً، هذا الانطباع التأملى ينشئ لدينا فكرة القوة أو الارتباط الضرورى. الضرورة، إذن، كما يقول هيوم: هى لاشىء، بل مجرد انطباع داخلى للعقل، وهى نتيجة هذه الملاحظة، وبالتالى، الارتباط الضرورى هو من نتاج الخيال فقط. ص:١٥٤.

هناك بعض الملاحظات، ليست بالأهمية، تمّ حذفها فى عمله الثانى، ذكرها هيوم فى الرسالة.

بالنسبة لعمله الرسالة، الاستدلال هو انتقال الذهن من انطباع حاضر للحس أو الذاكرة إلى فكرة ذات صلة به، صلة وفقاً للقانونين الأوليين من قوانين التداعى، وهما قانونا التشابه والتجاور. أما الأساس النهائى لهذا الاستدلال : فإنّ العادة هى «أساس كل الاستنتاجات من التجربة» .681.phil.Rev.. بالنسبة للمبحث، العلّة أو الأساس الذى نشكل بواسطته استدلالاً من مثال واحد إلى آخر، ونتيجة لذلك «أسس كل الاستنتاجات من التجربة»، يبدو أنه يعتمد على أساس افتراض أنّ الطبيعة فى اتّساق ..682.phil.Rev. لكن يجب أن نطرح سؤالاً: ما أساس مبدأ الاتساق فى الطبيعة؟ لهذا كانت إجابة هيوم فى المبحث هو العادة بإيجاز. وفى تكوّن مبدأ العادة أو التعود، يأتى قانونا التجاور وأيضا التشابه للعب هذا الدور.

بالنسبة لمبدأ الاعتقاد هناك مطابقة بين العملين من حيث المضمون، وهنا أيضا بعض الاختلافات فى أسلوب المعالجة. فى المبحث، طريقة التعبير فيها أكثر تردداً وحذراً منه فى الرسالة. وهذا ربما يفسر على أسس: ١ - أن هيوم هنا قد فقد قليلا من حماسة الشباب السابقة، وهذا ما تطلب توازن العقل فى الحكم. ٢- يبدو أنه وبعد نشر الرسالة، كان غير قادر أحياناً على تقرير ما إذا كان الاختلاف الوحيد بين انطباع ما وفكرته، أو بين فكرتين لانطباع واحد، هو مجرد اختلاف فى درجات القوة والحيوية.

خ- الاحتمال، الضرورة أو الحتمية:

ثلاثة فصول هى معالجة هيوم للاحتمال فى الرسالة، ما يقابله فقط فصل موجز فى قليل من الصفحات فى المبحث. phil.Rev. ٦٨٣. هذا نوع من التلخيص غير التّام من المعالجة، وفى حقيقة الأمر لا تحتوى على أى شىء جديد.

ما يمكن ملاحظته، أنّ هيوم يعبّر بنفسه على نتيجة، وهى أن مذهبه فى الصدفة يذهب إلى تأكيد مذهبه فى السببية والاحتمال. بعد الانتهاء من موضوع الارتباط الضرورى، تختلف تنظيم المناقشة إلى حد بعيد فى العملين، كما هو مشار إليه. يعتقد بعض النقاد أن الحذف فى المبحث، للفصل المتعلق بالقواعد العامة، هو جزء من سياسة هيوم لكى يتجنب صعوبات ناتجة من نظريته فى السببية. ربما يكون لهذا الأمر، أو ربما يكون لقصد الإيجاز.

أما مناقشة عقل الحيوان هى نفسها عملياً فى العملين. ويعتقد هيوم أن تفسيره لهذا السؤال ليؤكد مذهبه فى الاستدلال فيما يتعلق بالإنسان.

د- أفكار الجوهر المادى والعالم الخارجى:

لا وجود لمناقشة فكرة الجوهر المادى فى المبحث، لكن الرؤية نفسها تتبع منطقياً مع ما ورد فى الرسالة، وبصورة ضمنية. ١ – الفكرة مستحيلة من الناحية المنطقية، بسبب معيار شرعية أى فكرة عند هيوم.. ٢– فى الواقع ليست فكرة ضرورية، بالنسبة لهيوم، فهو يؤكد أن كيفيات الصلابة و الامتداد والحركة هى كيفيات ذاتية أيضاً. وهذه الكيفيات– الأولية– هى لها نفس القاعدة مثل الكيفيات الثانوية.

فكرة العالم الخارجى نوقشت فى المبحث، لكنها بصورة أكثر موجزة منه فى الرسالة،ولكن بدون تغيير فى وجهة النظر كما يبدو. اعتبار العملية النفسية للتوصل إلى الافتراض الساذج للوجود الخارجى حذفت من المبحث، لكن كل النقاط الرئيسة لمذهبه المقدم فى الرسالة متضمنة فى المبحث. كما يمكن رؤيته من المقارنة الآتية:

الرسالة: ١- كل انطباع، خارجى أم داخلى، انفعالات، عواطف، الآم، أفراح.. فى الأصل، هى على نفس الأساس. ٢- فكرة الوجود الخارجى لإدراكاتنا لا نحصل عليها من الحواس، ولا من العقل، بل عن طريق الخيال.٣- الاعتقاد فى هذا الوجود الخارجى محدث بواسطة قوة وحيوية الإدراكات المتشابهة، وذلك طبقاً لنظرية هيوم العامة.

المبحث: ١- الموضوعات الوحيدة للمعرفة هى انطباعات وأفكار، لاشىء حاضر للذهن سوى تلك الإدراكات؛ الكيفيات الأولية والكيفيات الثانوية للموضوعات لها نفس الأساس. ٢- كل الناس وحتى الكائنات الحيوانية مدفوعة بغريزة لكى تستريح بالاعتقاد فى الحواس، ولكى تتخيل عالم خارجى لتوجد. وعندما يتبع الإنسان هذه الغريزة العمياء والقوية للطبيعة، فهو يفترضون دائماً الصور الخاصة جداً المقدمة عن طريق الحواس لتكون الموضوعات الخارجية. ٣- الاعتقاد يتكون دائماً من قوة وحيوية انطباع ما أو فكرة..الفرضية الفلسفية للوجود المزدوج، للإدراكات والموضوعات تمت مناقشتها فى المبحث بصورة عرضية. ورفضت كما جاءت فى الرسالة.

معظم الأسباب المحتملة لهذا الحذف فى عمله الأخير هى: - رغبة هيوم فى تقديم الملامح الرئيسية لنظامه الفلسفى موجزا وبشكل يقبله الجمهور.- تجاوز التناقض الذى اكتشفه سريعاً فى مبادئه الأساسية بعد نشر الرسالة. ٦٨٤.phil.Rev

هيوم لم يشك مطلقاً فى وجود إدراكاتنا، الانطباعات والأفكار،كما هى محددة فى الوعى، لكنه رفض إمكانية الحصول على أى معرفة لأى شىء تكون مختلفة عن مثل هذه الإدراكات. يبدو هذا هو موقف الشكاك القدامى من الموضوع بالضبط بنظر المؤلف.

سيظل وجود أساس غريب عند مثل هؤلاء الذين ادعوا أن هيوم فى الرسالة وفى المبحث قد أقر ضمنياً بوجود عالم خارجى مستقل عن إدراكاتنا. ولذلك يقول هنت Hunt أن هيوم اعتقد بوجود عالم خارجى بقدر ما يعتقد أى فرد عادى يضع

رجله على هذه الأرض الثابتة. «بالطبع هيوم اعتقد فى الوجود بعالم خارجى، ..لكن السؤال هل فكر أن هذا الاعتقاد الغريزى اللاعقلى صحيح أم خاطئ؟.صحيح أنه فى كثير من الأحيان، يلمح إلى وجود عالم خارجى، وليس من السهولة تجنب ذلك خاصة عند الحديث مع العامة، لكن مثل هذا الاستدلال لا يذهب بعيدا فى الفلسفة.فى الجانب المقابل، نجد فى الرسالة تقريراً محكماً لكيفية الحصول على فكرة العالم الخارجى، وسبب اعتقادنا بهذا النوع من الوجود. الآن وبعد عملية الاشتقاق، ووفقاً لعملية الاختصار، كان عليه أن يرفض وجود عالم خارجى، مادامت هذه الفكرة لم تشتق من انطباع حسى، لكن لماذا لم يفعل، يقول الكاتب أنه يقينا لا يستطيع أن يقول، فربما وجده عديم الفائدة، وربما فكر فيه على أنه غير ضرورى. لكن عندما حذف عملية اشتقاق الفكرة فى المبحث، فإن هذا يعطى مبرراً قوياً لأولئك الذين نظروا إلى المبحث بإيجابية أكثر من الرسالة. ٦٨٥.phil.Rev

موقف هيوم الفلسفى فيما يخص مسألة وجود العالم الخارجي تظل محل خلاف؛ من جانب، أنه أكد على الاعتقاد بالوجود الخارجى، ومن جانب آخر، أنه من المعروف على وجه العموم أنه رفض إمكانية أى معرفة واقعية للوجود الخارجى، كشىء مختلف عن الإدراكات. لكن بين هذين الحدين تكمن رؤى مختلفة. ص:٢٣١.

د- وجود الجوهر الروحى: الهوية الذاتية وخلود الروح .

أفكار الجوهر الروحى، والأنا، والهوية الشخصية هى مترابطة تماماً بعضها ببعض، ومن الصعب لحد كبير أن نناقشها منفصلة عن بعضها. الجوهر الروحى يبدو أنه مكافئ للعقل، فى حين أن الأنا أو الذات هى العقل الفردى المشخّص،أما الهوية الشخصية فهى كيفية أو كيفية مفترضة للذات، ونقصد بذلك كيفية الاستمرارية والثبات. ص:٢٣٥. يرى «سيدنى سميث» أن «باركلى» حطم العالم... ولم يبق منه شيئاً بعد وقته سوى العقل. نقد هيوم للجوهر الروحى ماهو إلا تطبيق لمبدأ باركلى المتعلق بالجوهر المادى، وكما بين باركلى بأن فكرة لوك عن الجوهر المادى

هى مجرد وهم، فإن هيوم، وبنفس الأسلوب، بين أن الجوهر الروحى وهم أيضاً. الجوهر الروحى الذى ناقشه فى الرسالة مشابه على نحو تام بالجوهر المادى. لا وجود لانطباع للجوهر، سواء كان مادياً أو روحياً، ونتيجة لذلك، لا وجود لشرعية فكرة الجوهر سواء الجوهر المادى أو الجوهر الروحى. ص:٢٣٦.

فكرة الذات شأنها فى ذلك شان باقى الأفكار التى ناقشها، هى مجرد وهم. ويتساءل عن الانطباع التى اشتقت منه فكرة الذات، فلن يكون هناك أى انطباع يقابل كيفية الاستمرارية والثبات، ليست الذات سوى حزمة من الإدراكات المتعاقبة...ولن أعثر على ذاتى، يقول هيوم، فى أى وقت بدون إدراك، . يخلص فى الأخير إلى أنّ فكرة الذات باطلة ص:٢٣٩.

فى المبحث، لاوجود لمناقشة الجوهر الروحى، آخر ما كان لهيوم فى هذا الموضوع، كتبه فى الملحق appendix، وقدمت معالجة الجوهر الروحى والذات معاً وكأنهما موضوعاً واحداً ، وبطريقة أخرى، فإن أهمية المناقشة فيه مشابهة لتلك التى قدّمها فى الرسالة.

أفكار الجوهر الروحى والهوية الذاتية نوقشت باختصار فى التذييل، وبدون أى تغير فى الرؤية، مع ما ورد فى الرسالة. لم يناقش الجوهر الروحى ولا الهوية الذاتية فى المبحث، لكنها تتبع منطقياً نفس الرؤية التى وصل إليها فى الرسالة. ص:٢٨٦ الأسباب الأكثر ترجيحاً لهذا الحذف، من عمله الأخير، هى ذاتها الأسباب التى تتعلق بالحذف فى الجوهر المادى ووجود عالم خارجى.

مذهب خلود النفس هو نفسه فى العملين من الناحية العملية، لم يبرهن عليه، بالنسبة للمبحث، لم يكن من الممكن البرهنة عليه، لكن فى الرسالة، فيمكن ذلك بواسطة حجج ميتافيزيقية، لكن هيوم لم يصرح بما إذا كانت هناك حجج أخلاقية، أو لم تكن، على الرغم من أن الخلاصة التى انتهى إليها هى سلبية. فى الموجز الاختلاف بين العملين فيما يتعلق بسؤال الخلود هو الآتى:المبادئ التأملية كغير المؤيدة لهذا الاعتقاد هى أكثر وضوحاً وجلاء فى الرسالة منه فى المبحث.

خلاصـــة:

ما يخلص إليه المؤلف من مقارنته هو:

يبدو لنا موقف هيوم فى المبحث فى هذه الموضوعات الآتية: الابيستيمولوجيا والميتافيزيقا وفلسفة الدين، ومن الناحية العملية، مماثلا تماماً لموقفه فى الرسالة..صحيح أنه لو أخذ العمل الثانى لوحده، وقرئ مستقلاً عن الرسالة، وبسبب الحذف الذى اعترى بعض مباحثه، فإنه يبدو لنا أنه أكثر إيجابية. لوحده لا يعطينا تصوراً غير كاف لفلسفة الطبيعة البشرية فقط، بل أيضاً وبالأخرى، تصورا خاطئاً. ولذلك فكانط عندما اعتمد على كتاب المبحث فقط، كان مخطئاً تماماً فيما يتعلق بموقف هيوم، ويمكننا أن نستنتج موقف هيوم فى العملين معا كالآتى:

من حيث الاتفاق:

١- يمكن القول أن الموقف متماثل فى العملين فى الموضوعات التالية: الهدف الأولى أو جوهر العمل، فى علة الإدراكات، فى تداعى الأفكار، فى الأفكار المجردة أو العامة، فى السبب والنتيجة، فى الاحتمال الفلسفى، فى الحرية والضرورة، وفى عقل الحيوانات.

٢- والموقف نفسه عملياً فى العملين معاً فى المواضيع التالية: فى الموضوع، فى المنهج، فى طبيعة تصنيف الإدراكات، فى الرياضيات، فى الاعتقاد، فى الجوهر المادى.

٣- كما أن هناك اتفاقاً بين العملين من الناحية الضمنية وغير معبّر عنه من الناحية الشكلية فى الموضوعات الآتية: فى أفكار الزمان والمكان، فى المعرفة الحدسية، فى التمييز بين العلاقات الطبيعية والفلسفية، فى التمييز بين انطباعات الإحساس وانطباعات التأمل، وبين أفكار التأمل وأفكار الخيال.

٤- فيما يتعلق بموضوع: الاحتمال اللافلسفى، والذات والجوهر الروحى، فيمكن استنتاجها من الفحوى العام فى معالجة الأسئلة التى ترتبط بها، وفى كتابات أخرى من مراجع عرضية، ومن عبارات فى الرسائل، تبدو رؤية هيوم نفسها،سواء عندما كتب المبحث أو عندما ألّف الرسالة. ص:٢٩٤.

أما من حيث الاختلاف والفروق: فيمكننا الإشارة إلى الحذف وإلى الإضافات:

١- الموضوعات المحذوفة نوعان: حذف كامل تام لموضوعات مثلاً: فى معالجته للعلاقات الفلسفية، المعرفة الحدسية، الاحتمال اللافلسفى، وأفكار الجوهر الروحى، الأنا والهوية الشخصية..وحذف جزئى مثلاً: فى معالجة انطباعات التأمل، أفكار الذاكرة، الأفكار العامة والمجردة، أفكار الزمان والمكان، الرياضيات، الاحتمال الفلسفى، القواعد العامة، الجوهر المادى، العالم الخارجى.

٢- أما ما تمت إضافته فيتمثل فى بعض التطبيقات العملية للمبادئ النظرية، مثلا فى معالجته للمعجزات، العناية الإلهية الخاصة..- فى نقل المناقشة التى تخص الحرية والضرورة من الكتاب الثانى للرسالة إلى المبحث.- حجة الفكرة التى تخص الارتباط الضرورى، اعتبار أكثر دقة لمسألة الاعتقاد، إدراك أكثر وضوح لوظيفة الغريزة.

علة هذا الحذف الذى وقع فى المبحث يمكن ردها حسب المؤلف إلى:

١- رغبة هيوم فى تقديم الأجزاء الأكثر أهمية فى فلسفته بصورة موجزة وواضحة، وبأسلوب يقبله الجمهور.

٢- الصعوبات المتأصلة فى الموضوعات ذاتها.

٣- اكتشاف أن مبدأ الارتباط بين الأفكار في محاولة تفسير وهم الهوية الشخصية، كانت ناقصة جداً.

أما علة الإضافات فيمكن حصرها في :

١- رغبة هيوم في التنبيه إلى أهمية المبادئ الفلسفية في الرسالة.

٢- رغبته في السمعة والشهرة.

٣- رغبته في الإجابة عن الاعتراضات التي وجهت لفلسفته بسبب طريقة المعالجة في عمله المبكر.

٤- وضوح الرؤية السيكولوجية لديه فيما يخص طبيعة الاعتقاد، ووظيفة الغريزة، عندما كان بصدد كتابة المبحث.

أو فيما يتعلق ببعض الأسئلة الابيستيمولوجية الهامة. ومع أن المبحث هو الذي أضحى أكثر معرفة، فإنه ينظر إليه على أنه المتضمن العبارة الأصح والأصوب والأنضج لمبادئ علم الإنسان ص:٣٠٨

في المبحث هناك حذف وهناك إضافات، أو هناك تعديل في المذهب، أو اختلاف في المنهج في معالجة أي موضوع. ص:٢٩٣

موقف هيوم :

نأتي أخيراً للسؤال: ما موقف هيوم الحقيقي؟ هناك عدة اختلافات في الرأي، وربما ستظل دائماً قائمة بالنسبة للشّاك،أوالوضعي،أوالمثالي،أوالمادي...، كل واحد منهم يجد رؤاه مؤيدة بعبارات من كتابات هيوم. لكن مهما كان موقفه الصحيح، علينا أن نؤكد بثقة، أن وجهة نظر العملين معا، عملياً ومنطقياً،عند هيوم هي نفسها. السؤال والوحيد من الأهمية الذي يمكن أن يكوّن أي مناقشة، أو اختلاف في الرأي في هذا السياق: هل قبول هيوم في الملحق الذي يتعلق بالتناقض في مبادئه

الأساسية، أثّر ذلك على تحضيره للمبحث؟ ٦٨٧.phil.Rev .اعتقد أن "grimm" كان ميالاً إلى ربط أكثر بأهمية هذا القبول. فى تأكيد هذه الرؤية المعبّر عنها سلفاً، لدينا عبارة هيوم: «المبادئ الفلسفية هى نفسها فى العملين»، على الرغم من أن هيوم تنكر لعمله السابق، فهو لم يتخل أو يعدّل أى من مبادئه الأساسية،لقد تأسف حقيقة على نشره، لكن هذا يتعلق فقط بالشكل لا بالمحتوى. ذلك الموقف يبدو أنه أكثر إيجابية فى المبحث مما عليه فى الرسالة. أى اختلافات توجد لاتبدو أنها تؤدى إلى أى تراجع أو تعديلات فى الرؤية من جانب هيوم فى عمله الأخير.

لو تم وضع هيوم فى تصنيف ما – هى طريقة ربما يرفضها هيوم بنفسه – فإنى أقول أنه شاك. وحتى هذه العبارة ستتطلب ربما تحديداً. بدون شك الرسالة كانت شكّية، والمبحث أيضاً شكى، لو قرئ فى علاقته بالرسالة وعلى ضوئها، ، أما لو قرئ المبحث لوحده، وأخذ على أنه تمثيل حقيقى لفلسفة هيوم الخاصة بالطبيعة البشرية، فربّما بالأحرى يمكن القول أنه شكّى أو وضعى. ٦٨٧.phil.Rev . ومع ذلك، فمن المبحث لوحده، يكون علم الإنسان عند هيوم، ودلالته فى تاريخ الفلسفة، غير مفهوم تماماً. وليس من الغريب إذن، أن كانط الذى لم يكن ملماً بعمل هيوم السابق، كان مخطئاً فى بعض الأسئلة الابيستيمولوجية الأساسية. هيوم صاحب المبحث، والمبحث لوحدة مضلّل تماماً، وربما هذا ما يفسر لماذا كان مواقف هيوم، على وجه العموم، يتسم بالسطحية و عدم الكفاية فى تاريخ الفلسفة .phil.Rev. ٦٨٨ .

يمكن تصنيف هيوم كمثالى وكمادى وكوضعى وكشكى، ذلك لأن هناك بعض العبارات من كتاباته يمكن أن تؤيد وجهة نظر كل واحد من هذه النظريات الفلسفية، كما أشرنا آنفاً. أما الموقف السليم لهيوم فيمكن أن يشار إليه بشكل أفضل من خلال الرجوع إلى أهم الموضوعات التى عالجها: من الناحية الابيستيمولوجية، ومن الناحية الميتافيزيقية، وأيضا من ناحية فلسفة الدين ص:٢٩٦ .

من الناحية الابيستيمولوجية: يمكن تصنيف هيوم كوضعى عندما ننظر إلى موضوع المعرفة، أى الانطباعات والأفكار، وإلى منهجه، وإلى دور الملاحظة والتجربة.أما عندما ننظر إلى المشكلات الأساسية فى الابيستيمولوجيا، ونقصد بذلك، أصل المعرفة، وطبيعة شرعية وصدق المعرفة، فمن ناحية أصل المعرفة يمكن أن نصنف هيوم كتجريبى، ففى كلا العملين يرجع هيوم كل المعرفة فى أصلها إلى الانطباعات وإلى الأفكار. و فيما يتعلق بصدق المعرفة فلا يمكن اعتباره وضعياً، مذهبه فى كلا العملين مثالى وظواهرى بالأساس. نظرية هيوم فى المعرفة من الناحية النظرية تنتهى إلى شكية عامة، لكن من الناحية العملية الفعلية هى نظام من الوضعية المثالية ص:٢٩٨.

أما من الناحية الميتافيزيقية: الميتافيزيقا استخدمت فى معانى عدّة، فهمت على أنها علم الوجود، أو علم المبادئ الأولى، أو ملكة الحكام القبلى وغيرها، أما هيوم فقد أشار إلى أى استدلالات غامضة وعويصة، وهى تبحث فى المشكلة: الانطولوجيـة والكوسمولوجيـة. لا يعتبر هيـوم مجـرد شاك فحسب بل دوغماتى. لا إمكانية للميتافيزيقا فى نظرية المعرفة، مادامت كل المعرفة تنشأ من التجربة، ونتيجة لذلك، كل أفكار الارتباط الضرورى، الجوهر المادى، الجوهر الروحى، الأنا والهوية الشخصية، وباختصار كل الأفكار الأولية الميتافيزيقية هى أوهام وباطلة. ص:٣٠٣ الموقف نفسه فى المبحث، الميتافيزيقا مستحيلة.

من ناحية فلسفة الدين: فعلى الرغم من أن هيوم خصّص لفلسفة الدين كتاب التاريخ الطبيعى للدّين ومقالة عن خلود النفس، إلا أنه ناقش ثلاث مشاكل فقط فى كتابه المبحث ، وأشار لها فى الرسالة، وهى العناية الإلهية، المعجزات، واليوم الأخر. ص:٣٠٦

مذهب خلود النفس عملياً نفسه فى كلا العملين، فهو غير مثبت. بالنسبة للمبحث لا يمكن أن يثبت، أما فى الرسالة فلا يمكن أن يكون مثبتاً عن طريق

«حجج ميتافيزيقية. لكن قد يكون ذلك ممكنا أو غير ممكن إثباته بواسطة حجج أخلاقية أو تلك المشتقة من التماثل فى الطبيعة». لم يصرح هيوم بذلك رغم أن حججه تشير إلى خلاصة سلبية. فى الموجز الفرق بين العملين ، فيما يتعلق بخلود النفس، يكمن فى: أنّ المبادئ التأملية السلبية فيها لهذا لاعتقاد أكثر ظهوراً فى الرسالة منه فى المبحث، بينما الحجج المباشرة المعارضة لهذا الاعتقاد هى أكثر ظهوراً فى المبحث منه فى الرسالة.

ملاحظـــة:

- هنا كملاحظة لابد أن نسوقها فيما يتعلق بطبع الكتاب: فى نسخته الأولى، وهى عبارة عن الأطروحة التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه، تضمّن الكتاب المباحث السبعة الأولى فقط وهى:فصل يتعلق بمقدمة عامة للعمل، ثم تقديم هدف الفيلسوف من حيث الموضوع والمنهج، يليه فحص الإدراكات بين العملين من حيث طبيعتها وعلّتها، وفى الفصل الرابع بحث مسألة تداعى الأفكار والأفكار المركبة، ثم الزمان والمكان، وبعدها خصص الفصل السادس لنظرية المعرفة، وأخيراً فكرة السببية.
- أمّا الكتاب الذى اعتمدنا فيه فقد تضمن فصولاً جديدة تتعلق بالاعتقاد، والاحتمال والضرورة، ثم الجوهر المادى والعالم الخارجى، يليه فصلاً عن الجوهر الروحى والذات والهوية الشخصية، ثم المعجزات و المصير..، وأخيراً خاتمة عامة و بعض الملاحق.

الإحالات المرجعية:

1- W.B.Elkin, Hume, The Relation of the tretease of Human Nature – Book I. To The Inquiry concerning of Human Understanding. Cornel University Library.Ithaca, N.Y.1904.

2- The Philosophical Review, J.G. Schurman and J.E. Creighton.V. III .Ginn and Company Boston, New York, chicago.1894.

3- Hume (David)،An Enquiry Concerning Human Understanding, The open court publishing company, chicago.Illinois.1958.

4- Hume (David) ،A Treatise of Human Nature, A.Selby- Bigge, M.A Oxford. At the Clarendon presses.

5- Hume (David) .An Abstract of A treatise of H.N.in Yalden-Thomson, D.C, (ed), Hume theory of Knowledge. Thomas Nelson and Sons LTD .1951.

6- Professor Huxley. ,Hume ,London ,Macmillan and Co .1881.